فرمين مايورغا

ترجمة: محمد عبد المومن

مورسكيّو الهورناتشوس المصلوبون

وعلى رؤوسهم تيجان الشوك



موريسكيو الهورناتشوس

المصلوبون وعلى رؤوسهم تيجان الشوك

Los Moriscos de Hornachos

Crucificados y coronados de Espinas

صفحات

اسم الكتاب: موريسكيو الهورناتشوس
المصلوبون وعلى رؤوسهم تيجان الشوك

المؤلف: فرمين مايورغا
ترجمة: محمد عبد المومن

الإصدار الأول 2020 م
عدد الصفحات: 288
القياس: 14.5 × 21.5
الترقيم الدولي ISBN: 978-9933-572-76-1

محفوظة جميع الحقوق
للناشر:
صفحات للدراسات والنشر والتوزيع
www.darsafahat.com

سورية - دمشق - ص.ب 3397
هاتف: 00963 11 22 13 095
فاكس: 00963 11 22 13 013
موبايل: 00963 991 411 818
info@darsafahat.com

الإمارات العربية المتحدة - دبي
ص.ب: 231422
موبايل: 00971 528 442 942
00971 503 757 304
Darsafahat.pages@gmail.com

تطلب كتبنا بأوروبا من
Safahat Publishing and distribution - SWEDEN
✆ 0046723311997



للدراسات والنشر
الإشراف العام: يزن يعقوب

موريسكيو الهورناتشوس

المصلوبون وعلى رؤوسهم تيجان الشوك

Los Moriscos de Hornachos

Crucificados y coronados de Espinas

تأليف

فرمين مايورغا

Fermin Mayorga

ترجمة

محمد عبد المومن

Mohamed Abdelmoumen



2020

المحتويات

مقدمة المترجم

عرفت السنوات القليلة الماضية اهتماماً متزايداً بالموريسكيين، سواء من قبل الباحثين أو من عموم القراء، وذلك بالتزامن مع الذكرى الأربعمائة لطردهم قسراً من إسبانيا. وقد تجلى ذلك الاهتمام، في تنظيم العديد من الندوات سواء في إسبانيا، أو خارجها، كما نشرت العديد من الدراسات والبحوث المتعلقة بأحوال الموريسكيين، قبل الطرد وبعده.

لكن هذا الاهتمام المتزايد، وخصوصاً لدى المهتمين الناطقين باللغة العربية، اصطدم بمشكلتين رئيستين:

أولهما، مشكل اللغة، فمعظم الوثائق إن لم نقل كلها، ونسبة كبيرة من الأبحاث والدراسات، مكتوبة باللغة الإسبانية. وثانيهما، مشكل الوثائق المخطوطة، والمكتوبة بلغة قشتالية قديمة تصعب قراءتها، حتى على الباحثين الإسبان، ناهيك عن الوثائق المكتوبة بالعجمية Aljimiado.

وقد أدرك بعض الباحثين هذا الإشكال، فقاموا بترجمة ونشر مجموعات وثائقية، ومنهم الحسين بوزينب، الذي نشر سنة 2011، كتاباً أسماه: "الموريسكيون وقصبة الرباط، وثائق تكشف جوانب تاريخية مجهولة"، تضمّن بالإضافة إلى دراسة مطولة، العديد من الوثائق المتعلقة باستقرار الموريسكيين المطرودين عند مصب أبي رقراق.

وقد قام الشيخ سلطان بن محمد القاسمي - حاكم إمارة الشارقة - في عام 2017 بإعداد ونشر كتاب وثائقي، ضمّنه العديد من الوثائق الإسبانية وترجماتها العربية، وقد قُسم هذا العملُ القيِّم إلى عشر إدانات، كشفت عن حجم المأساة المورسكية.

ويأتي نشر هذا الكتاب الذي بين أيدينا، في إطار تعزيز هذا التوجه، الرامي إلى ترجمة ونشر الوثائق الإسبانية المتعلقة بالمورسكيين، وهو استمرار لمجهود متواضع؛ حيث قمت بنشر مجموعة من الوثائق على صفحات دورية "كان" التاريخية، ومنها مرسوم التنصير القسري، ومرسوم طرد المورسكيين من مملكة بلنسية، ومرسوم طرد المورسكيين من سائر ممالك إسبانيا، ووثائق أخرى.

يُعدُّ مؤلفُ هذا الكتاب، فرمين مايورغا هويرتاس، من بين المؤرخين الإسبان المعاصرين القلائل، المتميزين بجرأتهم البالغة على الغوص في القضايا الشائكة، التي سكتَ عنها البحث التاريخي مدة طويلة. لقد دأب، ومنذ كتابه الأول الذي أسماه: "هراطقة ماردة"، على الكشف عما ارتكبته محاكم التفتيش في حقّ الأقليات الدينية، وخصوصاً في حق المورسكيين واليهود والبروتستانت. عماده في ذلك وثائق ظلت قروناً طويلة مخبأة في أقبية الكنائس الإسبانية، وثائق تعود، بشكل أساس، إلى القرنين السادس عشر والسابع عشر، وهي في مجملها عبارة عن مراسلات جرت بين السلطة السياسية ومسؤولي محاكم التفتيش. بالإضافة إلى محاضر المحاكمات، التي كانت تجري في أحيان كثيرة من دون علم

المتهم، ومن دون حضوره، ولا يعتقل إلا بعد أن يُدان، ليكون مصيره السجن في الزنازين السرية، في انتظار تنفيذ العقوبة الصادرة في حقه، وهي العقوبة التي لا يبلّغ بها إلا فوق منصة الإحراق.

ومما يزيد من قيمة مؤلفات الباحث فرمين مايورغا، تخصصه المفرط؛ فقد حصر مشروعه البحثي في دراسة منطقة واحدة هي إشترامادورا، في فترة محددة هي ما يسمى العصر الذهبي لإسبانيا، كما أنه يركز على مؤسسة واحدة هي محاكم التفتيش، أو ما يسمى أيضاً ديوان التفتيش المقدس.

ويعدُّ هذا العملُ امتداداً لمشروع بدأه المؤلف قبل سنوات، ولايزال مستمراً إلى حد الساعة، فقد سبقته كتب عدة منها: "هراطقة ماردة" و"هراطقة بطليوس"... لكن كتاب "مورسكيو هورناتشوس الذين صلبوا ووضعت على رؤوسهم تيجان الشوك"، يكتسي أهمية خاصة في رأيي، لكونه يركز على محكمة إليرينة، التي عدّها المؤلف أشرس محاكم التفتيش في التاريخ الإسباني، حيث أدانت ما يزيد عن 4000 شخص، وهذا رقم جعلها تتفوق على أية محكمة أخرى. كما أنه يؤرخ لفترة مهمة جداً، ولكنها لم تدرس جيداً، من تاريخ جماعة مورسكية ذاع صيتها، وحظيت ببعض الاهتمام، وأقصد المورسكيين الهورناشيين، الذين شكلوا حالة متفردة من عدة نواح، منها تأسيسهم لجمهورية أندلسية مستقلة عند مصب أبي رقراق. وقد تمكنت تلك الدويلة من الاستمرار عدة عقود، وتخصصت فيما يعرف بالجهاد البحري، الذي يعتبره المؤرخون الأوربيون ضرباً من القرصنة.

أراد الباحث من وراء تأليف ونشر هذا العمل، الكشفَ عن تاريخ جماعة تمّ إقصاؤها وتهميشها، وقُذف بها إلى المجهول، وهو بذلك يقف عند واحدة من أعقد القضايا التي تواجه إسبانيا ألا وهي إشكالية الهوية.

في هذا العمل، قمت بتعريب النص الإسباني بأكبر قدر من الدقة، رغم صعوبة التعامل مع ما تضمنه من نصوص قشتالية قديمة، وهي صعوبة لا يدركها إلا من خَبِرَ هذا النوع من المؤلفات. كما قمت بإضافة العديد من الهوامش، لتوضيح ما ظننت أنه في حاجة إلى توضيح، وذلك ليتمكن القارئ غير المتخصص من استيعاب مضامين الكتاب. أما بالنسبة إلى أسماء الأعلام، فقد كتبتها كما تُنطق، كما وأضفت إليها الاسم بالأحرف اللاتينية في معظم الحالات. أما أسماء الأعلام الجغرافية الإسبانية من مدن وقرى وأحياء، فقد أوردت تسميتها العربية المتداولة أو المذكورة في التآليف التاريخية أو الجغرافية العربية، وبالنسبة إلى تلك التي لا تعرف لها تسمية عربية، فقد أوردت أسماءها مثلما تنطق. أما بالنسبة إلى عنوان الكتاب، فقد أبقيت على العنوان الذي اختاره المؤلف أي:

Los Moriscos de Hornchos, Crucificados y coronados de Espinas

بقي أن أشير إلى أني واجهتُ خلال العمل على هذه الترجمة كمّاً من الصعوبات، والتي تخطيتها بفضل الله، ثم بمساعدة عدد من الأساتذة والأصدقاء، ولهذا يسرني أن أتقدم بالشكر الجزيل لأستاذي الدكتور جعفر بن الحاج السلمي، وللصديق الدكتور محمد رضى بودشار، وللمؤلف فرمين مايورغا هوريتاس، على لطفه البالغ، وعلى الوقت الذي

خصصه لي لتوضيح بعض الجوانب الغامضة من الكتاب، أثناء لقاءاتي به في ضواحي العاصمة الإسبانية. كما أشكر الصديقين العزيزين محمد المخلوفي ومحمد الرحماني.

والتمس من القارئ العذر، فيما قد يصادفه من خطأ أو تقصير أو غموض في بعض الجمل والفقرات.

وفي الختام أشير إلى أن الهوامش المكتوبة باللغة الإسبانية هي من وضع المؤلف، وتلك التي باللغة العربية هي من وضع المترجم.

والحمد لله أولاً وأخيراً.

مقدمة المؤلف

هناك صفحات من تاريخ الشعوب لا يُنتبه إليها، صفحاتٌ يطبعها التوتر الناجم عن الصراع مع الواجب الأخلاقي، كما أن الضمائر تميل إلى تناسيها. وحالة المنع المفروضة عليها تجذب المهتمين، وتدفعهم إلى البحث عن معطيات جديدة.

تشدنا الوقائع إليها بقوة، وتجبرنا على الغوص في أعماق وثائق مكتوبة، تعود إلى قرون خلت، والروايات المبثوثة في تلك الوثائق تحمل إلينا نسائم أصيلة وجميلة، حول عدد كبير من سكان إشترامادورا، الذين قدر لهم أن يعيشوا ظروفاً مختلفة عن ظروفنا.

أنا شخصياً أرى أنه إذا كنا نريد أن نصبح قادرين على تحليل أية حقبة تاريخية، فلا مناص من الإحاطة بالبنيات الاجتماعية والسياسية والدينية التي كانت سائدة خلالها، أما بالنسبة إلى محاكم التفتيش، فما أن نتذكرها حتى يتبادر إلى وعينا الباطن ذلك الشعور الغريب بأننا نفكر في المحرمات، فهي تذكرنا بالتعصب والقهر، وبذكرى عصر عاشت فيه قرى وبلدات إشترامادورا في جو من الرعب والخوف. وتبرز هذه الحقيقة بشكل واضح وجلي في تلك الحواضر، ولا أدل على ذلك من المقولة الشهيرة: "عن الملك ومحاكم التفتيش، إياك أن تتكلم"، وهذا سبب كاف

ليخيّم الخضوع والرعب على شوارع البلدات الإشترامادورية. لقد كانت محكمة التفتيش في اليرينة وسيلة للمراقبة الاجتماعية، وقد عولت على عدد من الوسائل لتوسع حضورها في سائر بلدات إشترامادورا.

الهدف من هذه الصفحات، هو التعريف بما حدث في إشترامادورا لواحدة من أهم الجماعات الموريسكية، ونقصد هنا سكان بلدة هورناتشوس على يد محاكم التفتيش؛ حيث سنحاول أن نخرج من النسيان أسماء الأشخاص الذين حكم عليهم بالحرق والجلد والأشغال الشاقة، الذين تم تسليمهم للحقد الشعبي، حيث كانت تهمهم هي التفكير بطريقة مختلفة، الإيمان بإله آخر، أو ببساطة التعبير عما يفكرون فيه، وهذا ما جعلهم يوصفون بالهراطقة والصعاليك والمارقين والأشرار، باختصار أشخاص لا حقوق لهم مطلقاً وعليهم الخضوع لعدالة الكنيسة.

أبطالنا رجال ونساء، عاشوا في إشترامادورا، وألصقت بهم محاكم التفتيش وعامة الشعب عار الانتماء إلى الهراطقة الموريسكيين، ولهذا تمت متابعتهم من طرف ديوان التفتيش المقدس لبلدة اليرينة، الذي كانت مراسيمه تقرأ على منابر الكنائس، مع إصرار على إدانة كل ما لا يتوافق مع الكنيسة الكاثوليكية، ونهاية المدانين كانت هي الإعدام حرقاً.

إن الاحتفال والمأساة والعنف والصفح والسلطة والدين والفن والتسلية، كل هذا حوّل الإعدام حرقاً، إلى طقس مرعب، استغلته محاكم التفتيش لاستعراض قوتها، ولتلقين السكان أي طريق يسلكون، ليكونوا مؤمنين سائرين على خطى المسيحية الرسمية. وبحضورهم في مناسبات

الحرق، عبروا عن استيعابهم للدرس، باعتبارهم ليسوا متفرجين وحسب، وإنما لكونهم معنيين بشكل مباشر.

تعتبر اليرينة، الواقعة في أقصى جنوب إشترامادورا، رمزاً - حيث تمت فيها محاكمة الموريسكيين وغيرهم من الإشترامادوريين - على اعتبار أن هذه البلدة ضمت مقر ديوان التفتيش المقدس في إقليم ليون وسجونه السرية.

سنحلل عملية طرد موريسكيي إشترامادورا، ومصادرة أمتعتهم، والأهوال التي حلت بهم خلال فترة قمع محاكم التفتيش، معتمدين على الوثائق المتوفرة. كما سنقترب من المحطة الأخيرة، وسنرى كيف تمكنوا، بمعية موريسكيين أندلسيين وإشترامادوريين، من تأسيس جمهورية مستقلة في الرباط، أعلنوا منها للعالم عن هويتهم الراسخة.

عرفت السنوات الأخيرة صدور الكثير من الدراسات حول الموريسكيين، لكن يبقى علينا، لإكمال العمل، تدقيق وتعديل ما جاءت به المدونات التقليدية، خصوصاً مع بقاء الكثير من الوثائق غير منشورة كتلك التي تعود إلى محاكم التفتيش. ومن غريب المفارقات أن يكون موضوع محاكم التفتيش من أكثر القضايا إثارة للجدل، والتي كتب حولها الكثير، في الوقت الذي تظل فيه أرشيفات محكمة اليرينة غير مستغلة، إلا بشكل محدود من طرف عدد من الباحثين الإشترامادوريين.

سنركز على أهم مجموعة موريسكية تواجدت في إشترامادورا، في بلدة هورناتشوس تحديداً خلال القرون: السادس عشر والسابع عشر

والثامن عشر، ستعرُف بالتحولات التي طرأت عليهم ومشاكل تعايشهم مع المسيحيين القدماء من سكان المنطقة، والذين كانوا يشكلون أقلية، حيث أن عدد سكان هورناتشوس في القرون التي تهمنا، بلغ حوالي ألفي نسمة، منهم خمس أو ست عائلات مسيحية تصنف ضمن المسيحيين القدماء، في حين كان الباقون من المسلمين.

ستتعمق في التاريخ، حسب ما تجود به الوثائق، لتتعرف على حياة سكان هذه البلدة الإشترامادورية.

الفصل الأول

هورناتشوس: الصراع المسيحي - الموريسكي

كما هو معروف، فقد خلف تقدم حركة الاسترداد المسيحي في المناطق الإشترامادورية تحول ساكنة مسلمة كثيرة العدد إلى مدجنين، وقد عاش هؤلاء بسلام مقابل أداء ضريبة خاصة، حيث سمح لهم بحرية ممارسة عبادتهم وعاداتهم وتقاليدهم. ولكن كان من الواجب عليهم الرضوخ للقوانين التي أقرها الملوك المتعاقبون لمراقبة هذه الجماعة، ومن بينها القوانين التي سندرجها كأنموذج، والتي تتعلق بعقوبات السرقة واللصوصية، التي يتورط فيها مسلمون داخل أراضي الممالك المسيحية، والتي أصدرها الملك خوان الثاني Don Juan II [1]، في مدينة أوكانيا Ocaña، وأقرها في وقت لاحق كل من الملك فرناندو Don Fernando [2]، والملكة خوانا [3] Doña Juana، من مدينة برغش Burgos بموجب قانون 24 فبراير 1508.

1- ملك قشتالة فيما بين 1406 و 1454.

2- فرناندو الكاثوليكي، ملك أراغون في ما بين 1479 و 1516.

3- الملكة خوانا ملكة قشتالة وأراغون، والملقبة بالمجنونة، ورثت عرش قشتالة عن إيزابيلا الكاثوليكية سنة 1504.

"نأمر موظفينا، الذين يمارسون مهامهم في المحكمة العليا بغرناطة، بأن يعلنوا في المناطق الساحلية- بحيث يعلم الجميع-، أن كل مسلم أو جماعة من المسلمين يصل إلى هناك من أجل السرقة والنهب، ويتم اعتقاله وإدانته، يحكم عليه بالموت، وأن من يقوم منهم بالسرقة والنهب، ويتم اعتقاله من الآن فصاعداً، فسيتم تنفيذ حكم الإعدام في حقه.

ونأمر كل قائد يعثر على مسلم داخل حدود ممالكنا، بأن يعتقله ويتحفظ عليه، حتى ولو لم يضبط وهو يسرق أو ينهب، وهذه إرادتنا [1].

الأحكام السابقة تعبر عن الرغبة في السيطرة على حدود المملكة، خصوصاً تلك القريبة من الساحل الأفريقي. لكن في المقابل، كانت هناك قوانين أخرى للتحكم في الإسبان المسلمين المقيمين في أراضي المملكة، بهدف منعهم من العبور إلى الأراضي الإسلامية. ومن طليطلة أصدر الملكان الكاثوليكيان فرناندو وإيزابيلا Doña Isabel [2] قانون 1480 المسمى بـ: "عقوبات من أرسل إلى بلاد المسلمين مواد محظورة وأعان مسلمين أو يهوداً".

" نحذر من أن يتجرأ أي شخص أو جماعة على وسق الخبز، الأسلحة، والخيول أو أي من المواد المحظورة إلى بلاد الكفار.

العقوبات المتضمنة في إعلان الحقوق الجماعية، ينص على أن من هرب أو ساعد أو قدم نصيحة ساعدت على فرار مسلمين مدجنين، أو

1- Los codigos Españoles concordados y anotados. Tomo decimo. Novisima Recopelacion de los Leyes de España Tomo IV. Que contiene el libro duodecimo; suplemento e indice. Madrid 1850. pag. 4

2- إيزابيل الكاثوليكية، ملكة قشتالة في ما بين 1474 و 1504.

مسلمين أسرى، أو مسيحيين مارقين، تركوا دينهم ودخلوا الإسلام، أو يهود خونة، يعاقب بالموت.

وفي حالة اعتقال هؤلاء المسلمين المدجنين، فإن من اعتقلهم يحق له الاحتفاظ بهم ومصادرة أمتعتهم. أما في حالة المسيحيين المارقين، فيعاقبون بالموت حرقاً إحقاقاً للعدل، أما أمتعتهم فتصبح ملكاً لمن اعتقلهم.

لكننا نأمر في المقابل، بأن يتم تسليم الأشخاص سالفي الذكر إلى ممثل الملك في أقرب منطقة جرى فيها الاعتقال، ليتم التحقق من الواقعة وليتم تطبيق الحكم" [1].

العيش في وضعية "مدجنين" في ظل الأوضاع السائدة خلال القرون: 12، 13، 14، لم يكن محتملاً على الإطلاق بالنسبة إلى الإشترامادوريين المسلمين، ونحن نعرف الآن عن وجود جماعات المدجنين في عدد من مدن إشترامادورا وبلداتها، كما نعرف من خلال الوثائق التي تعود إلى الفترة الممتدة ما بين 1475 و1480 أي إلى حكم الملكين الكاثوليكيين، عن وجود جماعات مسلمة في كل من قصرآش [2] Caceres، ترجيلة [3] Trujillo، هورناتشوس ووادي كانيامير Valle de Cañamero [4]، لكن حالة التعايش والاحترام انهارت بعيد الاستيلاء على غرناطة سنة 1492.

1- Ibidem

2- مدينة تقع في غرب إسبانيا ضمن منطقة إشترامادورا.

3- بلدة إسبانية تقع غرب البلاد، غير بعيد عن مدينة قصرش.

4- A.G.S. Estado. Legajo 232

بعد المصادقة على اتفاقية الاستسلام، والتي وقعها كل من إيزابيلا ملكة قشتالة وفرناندو ملك أراغون مع الملك أبي عبد الله ابن الأحمر، في 2 فبراير 1492 والتي بمقتضاها استسلمت غرناطة، جرت مراسيم تسليم المدينة عبر تقديم مفاتيحها.

النص التالي عبارة عن اقتباس من هذه الاتفاقية، التي سريعاً ما نقضتها قشتالة، ما تسبب في قيام المسلمين بثورات متعاقبة.

" يسمح صاحبا السمو، وسلالتهما، للملك أبي عبد الله الصغير وشعبه أن يعيشوا دائماً ضمن قانونهم من دون المساس بسكناهم وجوامعهم ومآذنهم. وسيأمران بالحفاظ على مواردهم، وسيحاكمون بموجب قوانينهم وقضاتهم، حسبما جرت عليه العادة، وسيكونون موضع احترام من قبل النصارى. كما تحترم عاداتهم وتقاليدهم إلى غير حين.

لن تصادر من المسلمين أسلحتهم أو خيولهم، أو أي شيء آخر حاضراً وإلى الأبد، باستثناء الذخيرة الحربية التي يجب تسليمها إلى صاحب السمو.

يسمح لمن يرغب في الجواز إلى العدوة أو أي مكان آخر، من أهالي غرناطة والبيازين والبشارات، والمناطق الأخرى التابعة لمملكة غرناطة، ببيع ممتلكاتهم وأراضيهم لمن شاؤوا. ولن يحاول صاحبا السمو وذريتهما منعهم من ذلك أبداً. وإذا ما رغب صاحبا السمو بشرائها من أموالهما الخاصة، فشأنهما في ذلك شأن سائر الناس، ولكن الأولوية تكون لهما.

تجهز عملية نقل الأشخاص الذين يرغبون في العبور إلى العدوة، في غضون ستين يوماً من تاريخه، على متن عشر سفن كبيرة تتوزع على الموانئ القريبة منهم، حسب رغبة المبحرين، ليحملوا أحراراً، وطوع إرادتهم، إلى المكان الذي يرغبون النزول إليه فيما وراء البحر، خاصة الموانئ التي كانت ترسو فيها تلك السفن.

أما الأشخاص الذين يرغبون في العبور في غضون الأعوام الثلاثة القادمة، فتُجهز لهم السفن الخاصة، من الموانئ القريبة لمكان إقامتهم، شريطة أن يقدموا طلباتهم قبل موعد الرحيل بخمسين يوماً. وينقلون برعاية تامة، إلى الميناء الذي يرغبون النزول فيه.

ولا يترتب على من يريد العبور إلى العدوة - خلال الأعوام الثلاثة هذه - أجر أو نفقة. أما الذين يرغبون في العبور بعد انتهاء الأعوام الثلاثة، فعليهم دفع دوبلة واحدة فقط عن كل شخص. أما الذين لا يتمكنون من بيع أملاكهم الموزعة في جميع أنحاء مملكة غرناطة قبل سفرهم، فيحق لهم تفويض أي شخص من أجل تحصيل حقوقهم، وليقوموا مقامهم، ويتولوا بعد ذلك إرسال هذه الحقوق إلى أصحابها أينما كانوا، ومن دون أي عوائق.

لا يُرغم صاحبا السمو وسلالتهما، حاضراً وإلى الأبد، المسلمين وأعقابهم، على وضع أية شارة مميزة لملابسهم.

لا يحق لصاحبي السمو، لمدة ثلاث سنوات من تاريخه، تحصيل الأتاوات من الملك أبي عبد الله الصغير، وسكان غرناطة والبيازين وأرباضهما، وهي الأتاوات التي يترتب أداؤها عن دورهم وأملاكهم

الموروثة، بل يكفي أن يدفع المسلمون لصاحبي السمو عُشر الخبز والذرة، وعُشر المواشي خلال شهري أبريل ومايو"[1].

كانت قشتالة مجبرة على الإبقاء على هذه السياسة المتسامحة إلى حين، لكن معارضيها ادعوا أنه يجب تحويل المسلمين إلى المسيحية، لدوافع سياسية أكثر منها دينية. لقد وقع الملكان الكاثوليكيان على اتفاقية 25 نونبر 1491 والتي أدت إلى استسلام غرناطة وتحول سكانها إلى مدجنين، كما كان عليه الحال في قشتالة وأراغون.

وفي هذا الإطار، طالب الكاردينال سيسنيروس Cisneros [2]، بالتخلي عن تلك السياسة المتسامحة، بمجرد توليه منصب رئيس أساقفة إسبانيا، ومقره مدينة طليطلة، وهكذا ابتداء من 1499 بدأت حركة نشيطة لتحويل المسلمين إلى المسيحية، لكن الأساليب التي اعتمدها "سيسنيروس" أدت إلى أول انتفاضة لسكان حي البيازين، والتي سرعان ما امتدت إلى البشارات، حيث جرى قمعها باستخدام القوة سنة 1501.

هذه الأحداث تم استغلالها سياسياً من طرف الكردينال سيسنيروس، الذي أصدر قرارا يأمر فيه بتنصير موريسكيي غرناطة، وقد جرى تعميمه على كل قشتالة بموجب قرار 17 فبراير 1502 الذي يخير

1- أخذت هذا القسم من معاهدة الاستسلام من كتاب دولة الإسلام في الأندلس - العصر الرابع - نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين - من تأليف محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الرابعة، 1997، ص 242 وما بعدها.

2- رجل دين إسباني، اضطلع بكثير من المهام الدينية والسياسية، ومنها منصب كبير مفتشي إسبانيا (محاكم التفتيش).

المدجنين الإسبان بين التنصر أو النفي أو الموت. من الجلي أن السلطات القشتالية كانت تقوم بالتنصير الإجباري، وهذا نص القرار:

" بالنظر إلى الفضيحة الكبرى التي تحدث، والتي طرفها الأول المتنصرون حديثاً، وطرفها الثاني المسلمون من مواطني ورعايا ممالكنا وإقطاعياتنا، وحيث إن هذه الفضيحة تضر بالهدف الأساسي الذي بذلنا الكثير من أجله في مملكة غرناطة التي كان كل سكانها من الكفار، وبفضل الرب إلهنا لم يبق منهم أحد، وبذلك أزلنا عن ديننا عار وجود هذه النحلة التي كان يسمح بوجودها في إسبانيا، وهذا أمر لم يكن لائقاً.

ولأن الرب إلهنا قد أذن بتغلبنا على أعدائنا القدماء في زماننا هذا، وهم الذين حاربوا ديننا وحاربوا ملوكنا السابقين وحاربوا ممالكنا، فمن الطبيعي أن نظهر له شكرنا على هذه النعمة الكبرى وعلى سائر نعمه علينا، فلنخرج من ممالكنا أعداء اسمه المقدس، ولا نسمح أكثر بالبقاء في ممالكنا لسكان يمارسون عادات ذميمة، ولنأخذ في الحسبان القضية الكبرى، ألا وهي ارتداد عدد من المسيحيين بسبب مشاركتهم لليهود الذين في ممالكنا واتصالهم بهؤلاء، كما أن اتصال المسلمين الذين يعيشون في ممالكنا بالمتنصرين حديثاً خطير جداً، لأن هذا يمكن أن يؤدي إلى عودة هؤلاء إلى ماضيهم وخطاياهم الأولى، فالنفوس البشرية ضعيفة والشيطان لا ينفك عن محاربة الإنسان، وهذا يحدث بسهولة كما أثبتت التجربة، ورأيناه بأنفسنا في هذه المملكة وخارجها.

فالقضية الأساسية التي يجب العمل عليها، هي التخلص من هؤلاء المسلمين إلى خارج ممالكنا وإقطاعياتنا، لأن اتخاذ الاحتياطات أفضل

من معاقبة الجناة بعد وقوعهم في الخطايا. وحتى لا تقع فضيحة تؤدي إلى طردهم أو إخراجهم رغم كونهم مسالمين ويعيشون بسلام، لهذا وجب إبعادهم عن الناس سواء كانوا صغاراً أو بالغين، وكذلك عن بعضهم البعض بتهديدهم بالعقاب والتأديب.

لهذا يرى مجلسنا، الذي يضم أساقفة كباراً وفرساناً وشخصيات أخرى علمية وفكرية، وبعد مشاورات مطولة، أنه يجب إخراج المسلمين من مملكتي قشتالة وليون، وألا يسمح بالعودة إليهما، كما يطلب أن تطبق مضامين هذه الرسالة كما هي. وعليه، فكل المسلمين البالغين من العمر 14 سنة فما فوق، والمسلمات البالغات 12 فما فوق، والذين يعيشون في هاتين المملكتين سواء كانوا من رعاياهما أو من الذين دخلوا إليهما لسبب من الأسباب وعاشوا فيهما، باستثناء المسلمين الأسرى الذين يجب أن يكبلوا بالسلاسل ليتم تمييزهم، يجب أن يخرجوا من ممالكنا وإقطاعياتنا قبل نهاية شهر أبريل من العام الجاري 1502. ويسمح لهم بأخذ أمتعتهم التي يرغبون في أخذها، لكن يمنع عليهم أن يخرجوا أو أن يكلفوا أحداً بأن يخرج لهم ذهباً أو فضة أو أي مواد ممنوعة.

عليهم أن يخرجوا ويخرجوا أمتعتهم من موانئ كونتية بيثكايا Vizcaya فقط، وليس من موانئ أخرى أو أماكن أخرى. ولذلك نطلب أن تزود هذه الموانئ بموظفين يراقبون ما يخرج عبرها، وفي حالة ضبط أحد أراد إخراج ذهب أو فضة أو مواد ممنوعة، فإنه يعاقب بالموت وبمصادرة كل أمتعته لصالح ديوان الجبايات.

نحظر على هؤلاء المسلمين وعلى غيرهم أن يخرجوا عبر البحر أو أن ينتقلوا براً إلى مملكة أرغون أو مملكة بلنسية أو إمارة كتالونيا أو إلى مملكة نابارا، لأننا في حرب مع مسلمي أفريقيا ومع الأتراك، كما يمنع عليهم أن يتوجهوا إلى أفريقيا أو إلى الأراضي العثمانية، تحت التهديد بالموت ومصادرة الأملاك لصالح ديوان الجبايات، لكن يسمح لهم بالتوجه إلى أرض السلطان أو إلى أي مكان يرغبون في التوجه إليه، باستثناء الأماكن السالفة الذكر.

نأمر ونؤكد على أن المسلمين سالفي الذكر، سواء كانوا من رعايا أو ليسوا من رعايا الممالك السالفة الذكر، باستثناء الأسرى، يمنع عليهم العودة أو القدوم إلى هذه الممالك وإلى الأراضي التابعة لها سواء بقصد العيش أو المرور أو بأي نية أخرى منعاً أبدياً، وإذا حدث أن تواجدوا وألقي عليهم القبض في إحدى هذه الممالك والإقطاعيات أو دخلوا إليها بطريقة غير شرعية من دون إذن أو تصريح، يحكم عليهم بالموت وبمصادرة أمتعتهم لصالح ديوان الجبايات.

يمنع على سكان ممالكنا أو أي شخص آخر يقيم فيها، أن يستقبل أو يقبل أو يأوي بشكل سري أو علني مسلماً أو مسلمة من الذين سلف ذكرهم، سواء في منازلهم أو أراضيهم أو في أي مكان من ممالكنا وإقطاعياتنا، ويسري هذا ابتداء من نهاية شهر أبريل المقبل وإلى الأبد، تحت التهديد بمصادرة الأمتعة والعقارات والحصون وأي أملاك أو أموال أخرى، وتسليم الكل إلى ديوان الجبايات.

تحت التهديد بالموت، يمنع على المسلمين والمسلمات الأسرى من الاتصال والتحدث إلى من تحولوا حديثاً إلى المسيحية بأحاديث تمس إيماننا الكاثوليكي، أو يمكن أن تؤدي إلى الارتداد عن عقيدتنا" [1].

في السنوات اللاحقة، عمت حالة الرعب كل مناطق قشتالة، حيث كانت تعيش الكثير من العائلات الموريسكية.

الوثيقة التالية، والمؤرخة سنة 1511، تتعلق بموريسكيين توجهوا إلى غرناطة في زيارة عائلية، لكن سلوكهم أثار شكوك صاحب فندق من المسيحيين القدماء.

" إنه في يوم 4 مارس 1511 قام ألونسو باثكيز **Alonso Vazquez** الوكيل القضائي لمنطقة وادي ليكرين **Valle del Lecrin** باعتقال فرناندو، المسيحي الجديد.

جرت عملية الاعتقال مساء الأمس الثالث من الشهر المذكور، وقال المعتقل إنه كان قادماً من موتريل **Motril** [2] في طريقه إلى غرناطة عندما جرى اعتقاله في بيثنار **Beznar** [3] من طرف الوكيل القضائي العام سالف الذكر، هو ورفاقه بسبب اشتباهه فيهم، وقد جرى استنطاقه وهو تحت القسم، من طرف الوكيل القضائي العام السالف الذكر.

ـ سئل عن موطنه، فأجاب بأنه من ماردة [4] **Merida**.

1- Ibidem. Pág. 4-5.

2- مدينة ساحلية تتبع إقليم غرناطة.

3- قرية تتبع إقليم غرناطة.

4- مدينة تقع إلى الغرب من إسبانيا، تابعة لإقليم بطليوس.

ـ سئل هل هو حديث التحول نحو المسيحية، فأجاب بنعم.

ـ سئل عن الوقت الذي قدم فيه إلى غرناطة، ومن أين جاء، فأجاب بأنه قدم غرناطة منذ حوالي شهرين، وأنه قدم إليها من ماردة، كما أنه مر في الطريق بهورناتشوس ثم بإليرينة ثم بكاثوريا **Cazolla** قبل وصوله إلى غرناطة.

ـ سئل عن مهنته، فأجاب بأنه خراز.

ـ سئل عن الوقت الذي قضاه في غرناطة، وهل اشتغل أثناء إقامته فيها، فأجاب بأنه حوالي شهر ونصف، وبأنه اشتغل مع معلم يدعى بيدرو مارتوس **Pedro Martos** في شارع إلبيرة.

ـ سئل عن الوقت الذي قضاه في موتريل، فأجاب بأنه حواي أسبوعين، وبأنه قام ببعض الأعمال العابرة لمدة أربعة أيام مع أحد الموريسكيين.

ـ وسئل عن سبب مروره بيثنار، ولم خرجوا عن الطريق المعهود بين غرناطة وموتريل، فأجاب بأنهم وجدوا النهر في حالة فيضان ويستحيل عبوره.

ـ وسئل عن أسماء رفاقه، وعن مهنهم، وهل كانوا معاً طيلة هذا الوقت. فأجاب بأن المدعو أنطون **Anton** ابن أخ الشخص الذي هرب، وبأنه يجهل نسبته، أما مهنته فهي صناعة السيوف، كما أردف بأنه يرافقهما منذ خمسة عشر يوماً.

ـ وسئل هل هم مدجنون حديثو التحول إلى المسيحية، ومن أين هم، فأجاب بأن المدعو أنطون من غرناطة، وبأن أهله يسكنون في

هويخار Huejar إحدى قرى غرناطة، وبأنه ابن أخ رفيقهم الذي فر، وأن المدعو غارسيا Garcia من هورناتشوس.

كما استجوب الوكيل العام المعتقل المدعو غارسيا وهو تحت القسم.

- سئل بعد أن نطق بالقسم عن اسمه وموطنه ومهنته، فأجاب بأن اسمه غارسيا إل بويو Garcia El Boyo، وأنه من هورناتشوس، وبأنه يصنع السيوف، كما أنه يشتغل بالزراعة ويجيد الأعمال الفلاحية.

- وسئل هل هو مدجن تحول حديثاً إلى المسيحية، فأجاب بنعم، وبأن له أخاً يقال له أغوستين الغرناطي Agustin de Granada يشتغل في منزل ألونسو بيليث Alonso Velez.

- وسئل منذ متى خرج من غرناطة قاصداً موتريل، ومع من خرج، فأجاب بأنه ترك غرناطة قاصداً موتريل منذ حوالى ثلاثة أشهر برفقة بعض المبارين[1]، وبأنه غادر موتريل يوم الجمعة الماضي.

- وسئل عن الشخص الذي أقام عنده في موتريل، فأجاب بأنه يدعى ألونسو سيرانو Alonso Serrano وهو مسيحي جديد وأنه اشتغل معه في صناعة السيوف.

1- حسب خوسي رودريغيث مولينا، المبارين هم التجار الذين كانوا ينقلون السلع من غرناطة إلى قشتالة وبالعكس، سواء كانوا مسيحيين أو مسلمين أو يهودا، انظر:
RODRIGUEZ MOLINA- José "Relaciones pacificas en la frontera con el rieno de Granada "Estudios sobre Malaga y el Reino de Granada en el V Centenario de la conquista. Malaga.1987. pag. 113.

- وسئل عن أسماء رفاقه، وهل يعرفهم معرفة وثيقة، فأجاب بأن اسم أحدهم أنطون والآخر اسمه فرناندو.

- وسئل منذ متى تعرف إليهم، ومنذ متى وهم رفاق في السفر، فأجاب بأنه تعرف عليهم قبل خمسة عشر يوماً في موتريل، بما في ذلك رفيقهم الذي فر، وقد قضوا فيها الأيام السالفة الذكر إلى أن غادروها يوم الاثنين.

- وسئل عن مهن رفاقه، فأجاب بأن فرناندو خراز، في حين أن أنطون يعمل في صناعة السيوف.

ثم استجوب المفتش العام المعتقل المدعو أنطون.

- سئل عن اسمه، فأجاب بأن اسمه أنطون بن قاسم.

- وسئل عن موطنه الأصلي، فأجاب بأن والدته من هويخار، في حين أن والده من هورناتشوس.

- وسئل منذ متى ترك هورناتشوس، وما هي مهنته، فأجاب بأنه ترك هورناتشوس منذ حوالى أربع سنوات، وأنه قدم مع والدته وأشقائه، أما عن مهنته، فأجاب بأنه يعمل في صناعة السيوف كما يشتغل أجيراً.

- وسئل عن أسماء رفاقه، ومنذ متى وهو يرافقهم في السفر، فأجاب بأن أحدهم اسمه فرناندو ويشتغل خرازاً، في حين أن الثاني يدعى غارسيا، وبأنه يرافقهم منذ خمسة عشر يوماً.

- وسئل هل رفاقه مدجنون حديثو التحول نحو المسيحية، فأجاب بأن رفيقهم الذي فر من هويخار، وبأنه هو أيضاً ولد هناك، كما أن والده

مدجن من نفس المنطقة، وبأن رفاقه مدجنون، وبأن المدعو غارسيا من هورناتشوس، في حين أن خاله المدعو فرناندو من ماردة.

بعد الانتهاء من استجواب المتهمين الثلاثة يوم 5 مارس من السنة المذكورة، ولأجل التثبت من حقيقتهم، وهل هم من أهل الشرور والمشبوهين، استمع الوكيل القضائي العام لشهادة غونثالو كونيخو **Gonzalo Conejo** مسيحي قديم ومالك الفندق الموجود في المحل المسمى بـ بينوس ديل ري **Pinos del Rey** وهو تحت القسم، فأجاب بعد أن عرض عليه المتهمون الثلاثة، وسئل ماذا يعرف عنهم، فأجاب بأنه قبل حوالى خمسة عشر أو عشرين يوماً مر بمحله المدعوان أنطون وفرناندو، وهما قادمان من طريق غرناطة في طريقهم إلى موتريل وبرفقتهم شخصان آخران، أحدهما يلبس حذاء ملوناً طويلاً[1]، وبعد أربعة أو خمسة أيام مر به المدعو أنطون قادماً من ناحية غرناطة في اتجاه موتريل فاستغرب الأمر، وبعد أربعة أو خمسة أيام أخرى، سمع عن اعتقال مدجن كان برفقة بعض قطاع الطرق، وبأن هذا المعتقل كان ضمن المدجنين الذين مروا به، وبأن شكّه في أنطون ينطلق من كون المنطقة تعج بالأشرار، وهذا كل ما يعرف عن هذا الموضوع.

كتبه الموثق دييغو سالاس **Diego Salas**[2].

1- كان يسمح فقط لفئة النبلاء بانتعال هذا النوع من الأحذية، ولهذا ثارت شكوك صاحب الفندق.

2- AGS. Consejo Real Legajo. 86، folio 1 al 3 (ff. 18-20 v°)

هذه الوثيقة دليل واضح عن الكيفية التي كان من الممكن أن يتحول بها الموريسكي إلى متهم، لمجرد أنه يرتدي لباساً معيناً، وكيف كان المسيحيون القدماء يشون بهم لأدنى شبهة.

كيف عاش الموريسكيون خلال الفترة موضوع الدراسة؟ وكيف تصرفوا في مجتمع مسيحي؟ من المؤكد أن القرون الثمانية - التي هي عمر الحضور العربي - صاغت عقلية السكان وصبغتها بصبغة إسلامية.

سوف نركز في دراستنا على بلدة هورناتشوس التي سكنها موريسكيون إشترامادوريون، يشكل المسلمون خمسا وتسعين في المئة منهم. وسنحاول التعرف على حقيقة وضعهم، وكيف عاشوا في هذه البلدة التي شكلت آخر معاقل الإسلام في قشتالة.

في سنة 1553 أمر مجلس رهبانية القديس يعقوب[1] بأن يتم تعميم الأمر التالي:

"ليعلم الجميع، أنه يحظر على الهورناتشيين أبناء المسيحيين الجدد أن يسموا أو يتسمّوا بأسماء المسلمين.

نحن نعلم علم اليقين، من خلال الوثائق التي عرضت على مجلس الرهبانية، بوجود عدد من سكان هورناتشوس الذين يحملون أسماء من قبيل فرناندو محمد، بن دي حق، غابرييل علي، وأسماء أخرى مشابهة.

1- رهبانية القديس يعقوب تنظيم رهباني عسكري تأسس خلال القرن 12 الميلادي، يهدف حماية من يقصدون مدينة سنتياغو دي كومستيلا لزيارة قبر القديس يعقوب، ولطرد المسلمين من شبه الجزيرة الإيبرية، وفي سنة 1523 صار تحت إمرة ملوك إسبانيا ووعندها أصبحت مهمته الأساسية حماية الحدود الفاصلة بين إشترامادورا والبرتغال، كان مقره الأساسي مدينة أقليش.

فليعلم الجميع، أن الأسماء الإسلامية محظورة على المسيحيين، ورغبتنا في أن يترك الناس هذه الأسماء، ومن أبى فسيعاقب بالعقوبات التالية:

- في المرة الأولى بسجن ثلاثة أيام.

- في المرة الثانية بغرامة قدرها ستمائة ريال مرافيدي [1] **Maravedi** وسجن ستة أيام.

- في المرة الثالثة بالنفي مدة سنتين بمسافة لا تقل عن خمسة فراسخ من هذه البلدة.

هذا ويؤمر المنادي بإعلام الناس في الكنائس والأسواق.

التوقيع بيدرو سولشاغا Pedro Solchaga " [2].

هذا مثال واضح لتشبث السكان بعاداتهم وتقاليدهم، واستمرارهم في ممارستها، كما فعل أجدادهم من قبلهم. لكن كل هذا كان يجب أن يتغير من وجهة نظر رهبانية القديس، ولهذا رُخص للقساوسة بتنشئة السكان على الدين المسيحي منذ نعومة أظفارهم.

الوثيقة التالية أنموذج معبر عن هذه التراخيص، وهي تقول ما نصه:

"مجلس بلدة هورناتشوس يطلب السماح له بتسمية كاهن ليعلم أطفال البلدة العقيدة المسيحية"

1- اسم أطلق على العديد من العملات التي كانت متداولة في إسبانيا، اشتق اسمه من كلمة مرافيدي نسبة إلى الدينار المرافيدي.

2- A.H.N. Ordenes Militares.Archivo Historico de Toledo. N 59036

إلى السيد فيليب فارس رهبانية القديس يعقوب ورئيسها الدائم

نلتمس من سيادتكم الموافقة على تعيين كاهن، ليقوم بتعليم الأطفال وتلقينهم العقيدة المسيحية، مع العلم أن السكان سيتكلفون بمصاريفه. وذلك بسبب وفاة الراهب المتمكن ألونسو ميغيل Alonso Miguel، والذي كان مكلفاً بهذه المهمة. كما نلتمس من رهبانيتكم الموقرة أن تبحث لنا عن الكاهن المناسب، المتوفر على المؤهلات المطلوبة ليقوم بالمهام التي ستوكل إليه.

حرر في مدريد يوم 9 نوفمبر 1574

السيد فادريك إنريكيث Fadrique Enriquez

الدكتور ريبدينييرا El Doctor Ribadeniera

الدكتور أوباندو El Doctor Ovando

المفوض أرغييو Arguello "[1].

من أجل إدماج موريسكيي هورناتشوس داخل المسيحيين، اتُّبعت العديد من القواعد، ولكنهم رفضوا قبول ديانة لا تعبر عن هويتهم الحقيقية.

كانت هورناتشوس قبل الطرد بلدة غنية، فهي ذات فلاحة متنوعة تعتمد بالأساس على تربية الماشية وإنتاج العسل والكروم. كان الهورناشيون يمتلكون، بالإضافة إلى مساكنهم المتواجدة في البلدة، مساكن أخرى في الجبل يحتفلون بها.

1- A.H.N. ordenes Militares.Archivo Historico de Toledo. N 58574

الكثيرة التي بحوزتهم والتي يستندون إليها في ادعائهم بأنهم سيخفون كل شيء، لأنها حسب زعمهم كافية لإصلاح الأخطاء وإخفاء الآثام خصوصاً عندما تقدم كهدايا في المناسبات.

ولأن جلّ سكان المنطقة متورطون، فقد فضلت التريث وعدم القيام بأي إجراء ضد أحد منهم، حتى لا يعرف الباقون بأي شيء، إلى أن أعلم جلالتكم بكل ما حصل، وتقترحوا علي الحل الأمثل، وفي هذه اللحظة ومن أجل سلامتي الشخصية، فقد انتقلت للإقامة في بلدة كامبيو.

في حالة اتخاذ حل غير مناسب وعدم معاقبة هؤلاء الأشرار، فإن هذه الأرض ستصبح مصدراً للمشاكل، وأي مسؤول سيأتي إلى المنطقة، فلن يكون بمأمن من دون حراسة كافية، وحتى إذا تم تجريدهم من السلاح، فلن يكون هناك أمن، لأنهم يمتلكون الكثير من المخابئ، كما أن طبيعة تضاريس المنطقة تساعدهم على ارتكاب الشرور.

إن الشيء الذي سيستفز مشاعر جلالتكم في كونك كاثوليكياً متديناً، هو رؤية الكثير من الأرواح تهلك هنا، والتي لم ينفع الحل الذي طبق في هذه البلدة منذ مئة سنة في تحويلها إلى المسيحية، وها هم بعد كل هذه السنين مازالوا على حالهم دون أدنى أمل في أن يتغيروا.

المعلومات التي أمكننا الحصول عليها متوفرة وبعضها قد أرسلت إلى جلالتكم، وهي تخص بعض الوقائع، في حين أن الكثير من الجرائم لا نتوفر على شهود عليها، لأن الهورناشيين لا يقولون الحقيقة في القضايا التي تتعلق بهم، هناك فقط سبعة أو ثمانية مسيحيين قدماء وهم فقراء جداً

والباقون منهم، ولا يجرؤون على الإدلاء بشهاداتهم، لأنهم يخشون من أن يقولوا كما هي العادة هنا.

ألتمس من جلالتكم أن تأخذوا بالاعتبار ما جاء في هذه الرسالة، وأن يبقى سراً، لأن ما دفعني إلى كتابتها هو حماسي الديني وولائي لشخصكم، وأن تفهموا الخطر المحدق بي وبالشهود، كما أبعث إليكم بعدد من المراسيم والمحاضر التي تقوم مقامها في حالة لم تتوصلوا من خلالها".

ديل كامبيو يوم 10 شتنبر 1586

حاكم هورناتشوس

الدكتور خوستو دي أرغيبو.[1]

تبرز هذه الوثيقة بجلاء ما كان يرغب فيه الهورناشيون الذين حولوا بلادهم إلى جمهورية صغيرة، لا تحترم فيها قوات الملك وموظفوه ومحاكمه ولا حتى الملك نفسه.

من خلال الوثيقة الآتية، والتي أرسلها مفتش إليرينة السيد رودريغو دي مندوثا Don Rodrigo de Mendoza إلى المجلس العام لديوان القضاء في شخص الكاردينال المفتش العام، يوضح فيها ماذا كان في مقدور الهورناشيون أن يفعلوا عندما أرادوا تسميم الملك.

"بكثير من الألم والحقد، أكتب إليكم هذه الرسالة، بينما يداي ترتجفان، لكن المسألة خطيرة ولا تحتمل الانتظار.

1- A.H.N., Ordenes Militares, Archivo Histórico de Toledo, Legajo 14626.

ويخلصونهم من تبعاته. يدلّ كل هذا على أن الموريسكيين رفضوا التنصير الإجباري، كما رفضوا الانصهار في محيطهم المسيحي، عبر السهر للحفاظ على معتقداتهم وتقاليدهم.

بعيد قرار الكاردينال سيسنيروس القاضي بإجبارية التنصر، لم يعد أحد ينتسب إلى الإسلام بما في ذلك الهورناشيين، الذين التزموا ظاهرياً بمضامين القرار سالف الذكر، لكنهم في الواقع حافظوا على إسلامهم. لقد جاء القرار السالف بنتائج عكسية، حيث أثار حماستهم الدينية، والنتيجة أن جماعة مسلمي هورناتشوس بقيت عصية عن أي اقتناع أو تحول نحو المسيحية.

كان الهورناشيون يعتبرون بلدتهم جمهورية مستقلة، لا تعترف بالملك ولا بنوابه. كما كانت لهم اتصالات بسلطان المغرب، الذي شجعهم على ترك البلدة والالتحاق بالعدوة المغربية. وللحفاظ على بلدتهم غير مخترقة، شكل موريسكيو هورناتشوس جيشاً خاص بهم مكوناً من قطاع طرق مسلحين، أرعبوا مسيحيي البلدة والبلدات المجاورة. لقد دعم الهورناشيون جيشهم لتحقيق هدف واحد، وهو الحفاظ على ثقافتهم وتقاليدهم من دون خوف من أعدائهم التقليديين، خصوصاً ديوان التفتيش الذي مقره إليرينة.

الوثيقة الآتية عبارة عن رسالة بعثها حاكم هورناتشوس دون خوستو أرغيو Don Justo Arguello إلى الملك، وهي تعبر بجلاء عن هذه الحقيقة؛ إنها تقرير عن هذا الجيش الصغير المكون من قطاع طرق، والذي دافع عن الدين الإسلامي في آخر معاقله في إشترامادورا.

"منذ أن خدمتُ صاحب الجلالة في هذا المنصب، وأنا أحاول بكل الطرق الممكنة تحقيق العدل والسلام، وتطهير المنطقة من اللصوص، لكنني في المقابل لم أتلق إلا القليل من الدعم والاعتراف، كما أنني لم أجد الحماس الديني المتوقع، لهذا لم أستطع أن أحقق ما كنت أطمح إليه، لأني وحدي في هذه المنطقة التي لا تعترف بسلطتي، والتي يسكنها قوم أغلبهم فاجرون.

ولأني كنت أنتظر طيلة هذا الوقت أن تتوضح الأمور، مع أني مقتنع بأني التزمت العدل إلى حد الساعة، فقد وددتُ أن أقترح على جلالتكم الحل المناسب والمقبول لكل هذه المشاكل.

1 - في السنة الماضية عثر في جانب الطريق ببلدة إل ريتامال **El Retamal** التابعة لهذه المقاطعة، على رزمة من الرسائل التي تحمل أختاماً مخالفة لأختامنا، وقد كتبت بحروف غير لاتينية، ومن المرجح أنها أرسلت من سلطان المغرب، باستثناء واحدة أرسلت من طرف الباشا علي موسى **El Baxa Alimosa** إلى أحد موريسكيي هورناتشوس، المدعو غارسيا ميرينو **Garcia Merino** الذي كان يترجم هذه الرسائل ويوزعها على عدد كبير من سكان المنطقة. وقد قام ديوان التفتيش المقدس في إليرينة باعتقال إخوة المدعو غارسيا ميرينو، بالإضافة إلى أصهاره وأبناء إخوته، من أجل التحقق من الوقائع، حيث يشتبه بأنهم قاموا بتهريبه سراً إلى مكان آخر، خصوصاً أن والده رجل غني وصاحب نفوذ، ويشتبه في أنه على دين الإسلام ويريد العبور إلى بر العدوة.

لقد قام ديوان التفتيش المقدس بجهد كبير، واستخبر بشكل سري لعدم إثارة ضجة عمن قام بنشر الرسائل، لكن جهوده لم تأت بجديد، وبقيت شكوكه تحوم حول أسرة غارسيا ميرينو سالف الذكر، وها أنا ذا أبعث إليكم بتلك الرسائل، وكلي أمل في أن تطلعوا عليها، وترسل إلي يا صاحب الجلالة برأيك، لعل الأمور تتوضح بشأن هذه القضايا المتشعبة.

2 - كنا قد اعتقلنا وحكمنا بالإعدام على ثلاثة لصوص موريسكيين معروفين ينتسبون إلى البلدة، كما كنت قد أمرتُ بوضعهم في القلعة مع حراسة كافية في انتظار تنفيذ الحكم الصادر في حقهم، وبينما استدعيت الجلاد تمهيداً لتنفيذ القصاص العادل في حقهم لإرعابهم السكان، فوجئت بهربهم من إحدى ثغرات القلعة، ذلك أن سكان البلدة بمن فيهم أعيانها وأغنياؤها اجتمعوا واتفقوا على إنقاذ المتهمين، فقدموا رشوة للحراس، وأخرجوا المتهمين، رغم علمهم بأنهم على دين الإسلام، وأنهم قاموا بجرائم فظيعة، من بينها القتل والسرقة والنهب وتشكيل عصابة بمعية مجرمين آخرين تمكنوا من الهروب. وقد تمكنت من جمع معلومات وفيرة من خلال اعترافات دييغو كايدينو Diego Caydino وهو لص معروف، كانت له علاقة باللصوص سالفي الذكر. إن إرساله بهذه الاعترافات ينطلق من أمله في استئناف الحكم الصادر في حقه، ولمعرفته بأن البحث عنه لن يتوقف حتى يقبض عليه كما جرت العادة. لقد أرسل إلي بهذه الاعترافات وبرفقتها اعترافات لص معروف آخر هو غارسيا بيخارانو Garcia Bejarano أحد الذين فروا سجنهم في القلعة، وبهذه الطريقة توصلت إلى معرفة حجم الخيانة ومدى جرأة السكان.

3 - وحدث أيضاً أن أحد الموظفين والذي يعرف جيداً هؤلاء اللصوص ويتحدث لغتهم، أخذته الحماسة للقبض عليهم وتقديمهم إلى العدالة، فقصد في أحد الأيام أحد الشوارع التي كانوا يترددون عليها، فتربص به زعيمهم المدعو غارسيا غوميث Garcia Gomez وقتله، رغم أنه كان يصرخ بأعلى صوته: "هذه إرادة الملك لتحقيق العدالة". ومع أن الوقت كان مساء، والشارع غاص بالناس، فإنهم امتنعوا عن إسعافه، وقصدوا دورهم وأقفلوا أبوابهم.

وقد صعب عليّ جمع معلومات حول الحادث لولا الاعترافات، رغم أن جمعاً غفيراً شهد الواقعة، كما سبق أن ذكرتُ.

4 - وحدث أيضاً أن أخ الموظف القتيل سالف الذكر، وهو رجل خبير، حاول قتل اللص سالف الذكر مرات عدة، حتى أنه تمكن في أحدها من تطويقه ومعه رجال مسلحون بالبنادق، ولولا تدخل الناس لإنقاذه، لتمكن من قتله وإراحة البلد منه.

5 - وحدث أيضاً أن حاولت عصابة اللصوص المذكورة سالفاً قتلي وأهل بيتي، في مرات عديدة، وبطرق تتطلب تنسيقاً كبيراً، إحدى هذه المحاولات تمت في بلدة بالوماس Plomas عندما كنت في زيارة لها، ومرة أخرى كمنوا لي في بستان على طريق هورناتشوس، ومرة ثالثة كمنوا لي في الطريق المؤدي إلى البساتين وهم مسلحون بالبنادق وأسلحة مختلفة، ولولا لطف الله الذي أراد أن أسلك طريقاً آخر لتمكنوا مني ومن أهل بيتي.

كل هذا ورد في اعترافات ديغو كايدينو، والتي أرسلتها إلى جلالتكم برفقة هذه الرسالة.

6 – وحدث أيضاً أن أُجبرت راهبتان تنتميان إلى كنيسة نويسترا سينيورا دي لوس ريميديوس **Nuestra Señora de los Remedios** القريبة من هورناتشوس على الصراخ بأعلى صوتيهما بأنهما تنكران إلهنا يسوع المسيح، وتنكران الملك كذلك، وعلى قول عبارات مشابهة، لأنهما كانتا وحيدتين ومن دون حماية، كما أن الوقت كان متأخراً، وحتى الناس الذين سمعوا صوتيهما لم يشاؤوا التدخل لإنقاذهما ولا حتى إخباري، وبالتالي لم أستطع اعتقال الفاعلين.

7 – حدث أيضاً في ذكرى يوم الملوك من هذه السنة، وبينما كان اللصوص سالفو الذكر في السجن، أن تسلق حشد من الناس ومعهم طبل إلى القلعة حتى وصلوا إلى سطح أعلى أبراج فيها، وصاروا يصدرون ضوضاء عظيمة، ويتفاخرون بقوتهم وكأنهم في استعراض، وكانوا يصرخون " **a huru, a huru**" ومعناه بلغتهم "اهربوا، اهربوا".

وقد هممت باعتقالهم أو على الأقل اعتقال بعضهم، لكن لم يكن موقعهم مساعداً، كما أني كنت وحيداً وليس معي إلا رئيس إحدى الأخويات، وهو مسيحي قديم وأحد وكلائي، فوجدت نفسي مجبراً على الانسحاب من دون أن أتمكن من معرفة من قام بهذه الفعلة.

8 – وحدث أيضاً في ذكرى يوم الملوك[1] من هذه السنة، أن دخل مجموعة من قطاع الطرق المسلحين بالبنادق وأسلحة أخرى دهليزاً يوجد أسفل دار العدالة ليلاً بهدف اغتيالي، لأنهم كانوا يعرفون أني كنت أنزل إليه في وقت متأخر بهدف الدراسة، لكن من لطف الله أني كنت مشغولاً تلك الليلة ولم أنزل الدهليز، حتى أني لم أفتح باب أدراجه بسبب كثرة الناس الذين قصدوني في بعض القضايا، وقبل مغادرتهم سرق قطاع الطرق بعض الأمتعة.

وقد قمت بالاستقصاء في هذا الموضوع من منطلق السلطة التي منحت لي، كما حصلتُ على معلومات كثيرة من اعترافات ديغو كايدينو التي سأرسلها إلى جلالتكم برفقة هذه الرسالة.

9 – وحدث منذ حوالي خمسة عشر يوماً، أن كنت في زيارة إلى البلدة، وبينما أنا بالقرب من النبع، التقيت أحد اللصوص ومعه شخص آخر، فأسرعا بإخبار من كان هناك من قطاع الطرق الذين اعترضوا أحد خدمي ببنادقهم، أما أنا فقد شعرت بكمينهم، فانسحبت متجنباً الصدام المباشر معهم، فصاروا يتوعدونني بالقتل أنا ومن معي من قمة جبل، وقد سمع الناس وعيدهم فخرجوا إلى الأبواب والشوارع وإلى النوافذ وسطوح المنازل، لكن أحداً منهم لم يقدم لي أدنى مساعدة، واكتفوا بالتفرج عليّ وأنا وحيد مخذول، فعدت إلى منزلي وأنا عازم على أن أخبر جلالتكم لعلكم تشيرون عليّ بالحل المناسب.

1- يحتفل به المسيحيون في السادس من يناير من كل عام، وهو يؤرخ لذكرى تعميد السيد المسيح في نهر الأردن على يد يوحنا المعمدان.

10 - وقد زاد عدد قطاع الطرق نتيجة المساعدة والحماية التي يقدمها لهم السكان، حتى تجرؤوا على تحطيم دور العدل والسجن الذي كنا نعتقل فيه عدداً من رفاقهم.

ولأنهم سبق أن توعدوني بالقتل، فقد انتقلوا إلى محاولة تنفيذ وعيدهم باغتيالي وأهل بيتي، فتسللوا من فناء منزل أحد جيراني الموريسكيين إلى فناء منزلي، وبدؤوا في هدم أحد الجدران، ولولا أني استفقت في الوقت المناسب بعد أن رأتهم خادمتي التي أعلمتني، فلا أحد يعلم ماذا كان سيحصل، وعندما رأيتهم يتسلقون صاروا يصدرون أصواتاً أفاقت من في منزلي، والذين علموا حينها أن قطاع الطرق يريدون تنفيذ وعيدهم، وبدؤوا يصرخون طلباً للنجدة، ثم فرّ قطاع الطرق ومن جاء معهم. ومن جديد توعدوني بالقتل بأصوات مرتفعة. ورغم ذلك لم يأت أحد لنجدتنا. وبعدها أطبق الصمت على المكان حوالي نصف ساعة، تمكن خلالها القائد المسؤول عن السجن من أن يطل على الشارع من خلال نافذة، فشاهد قرب المنزل وبناية السجن جماعة مسلحة بالبنادق تلزم الهدوء في انتظار من يخرج من المنزل، وسمعت أحد المسيحيين الأصليين يصدر ضجة عبر قرع الجرس والضرب على صندوق لعل هذا الضجيج يمنعهم عن مهاجمتنا.

وعندما دخلت إلى المنزل، وجدت بجانب جدار الفناء سالف الذكر دناً من الخل وحبلاً، بالإضافة إلى بعض الأدوات الحديدية والأسلحة التي كانوا يريدون تسريبها للمساجين الراغبين في الفرار، وقد تيقنت من

كل هذا من خلال اعترافات غونثالو بيخارنو أحد هؤلاء المساجين، كما اعترف لي بذلك بعض السكان الذين يقيمون بجواري، والذين كانوا بلا شك يتمنون موتي وعائلتي.

ومن خلال اعترافات دييغو كايدينو، ثبت عندي أن المجرمين مدعومون من طرف بعض أعيان هورناتشوس الأغنياء والنافذين، وهم من يزودونهم بالمؤن اللازمة ويتسترون عليهم بهدف اغتيالي واغتيال موظفي، وهؤلاء الأعيان هم من يقرر أين ومتى وكيف تتم عملية الاغتيال. وحسب اعترافات كايديتو دائماً، فإنهم يفضلون أن يأتي حاكم جديد كل يوم حتى لا تُعرف جرائمهم وجناياتهم.

وقد ارتأيت أن من واجبي إطلاع جلالتكم على واقع الحال لتكون على حذر، وكذلك حتى لا يفقد الناس ثقتهم وولاءهم لي وللمؤسسات، وكذلك لتسير الأمور بشكل عادي في كل المناطق، ففي كل يوم يقصدني الناس طلباً للحماية وليشتكوا لي من سوء المعاملة والتهديدات التي يتعرضون لها، ولهذا أعلم جلالتكم وألتمس منكم السماح لي بنقل مقري إلى بلدة كامبيو **Campillo** لنكون مطمئنين أننا نحتفظ بالسجناء في مكان آمن.

11 - وحدث أيضاً أني أردت تطبيق حكم الإعدام في حق المدعو غونثالو بيخارنو، وعندما جيء به ليشنق، قال إنه سيكشف لنا الكثير من الهراطقة الموريسكيين من سكان بلدة هورناتشوس، بالإضافة إلى أمور أخرى لها علاقة بالدين، وبالتالي أجلت تنفيذ الحكم ليشهد ضد هؤلاء

الذين يدينون بالإسلام، وليمثل هو أيضاً أمام ديوان التفتيش المقدس، ليقرر مصيره وطبيعة العقاب الذي يستحقه.

12 - وقد قدم بيخارنو أيضاً معلومات حول المؤامرات التي شارك فيها، وكذلك حول عملية خرق جدار القلعة.

13 - وحدث أيضاً أن أحد سكان هورناتشوس أخفى كمية من الشعير حتى يعفى من أداء العشر، فأرسلت أحد الجنود ليعلم موظفي المكتب المركزي ليقوموا بمصادرة الشعير، فخرج من البلدة حوالي ثلاثين أو أربعين رجلاً معترضين طريق الجندي، وقالوا له إنهم يتمنون العمر المديد لجلالة الملك، لكنهم يريدون أن يترك الموريسكيين وشأنهم، لأنهم لا يعترفون بحكمه في بلدتهم، وأن على حاكم البلدة أيضاً أن يتركهم وشأنهم لأنهم ليسوا مدينين له بشيء.

14 - خلال يوم السبت الماضي، استقدم أحد موظفينا من ينبوع قريب من البلدة، بعد أن أصيب بجراح بليغة توفي بسببها، وقد كنت أعطيته صلاحيات لاعتقال المجرمين والإبلاغ عنهم، وبينما هو يمارس المهمة تعرض للهجوم.

وقعت الحادثة أمام عدد كبير من الناس ومن سكان الشارع، ورغم علمهم بأن هذا الموظف من أتباع الملك وأنه في خدمة الشعب، إلا أنهم لزموا مساكنهم وأقفلوا أبوابهم كما فعلوا سابقاً.

فخرجت إلى المكان الذي أُخبرت بأن المعتدين يتواجدون به، فعملوا على تضليلي حتى لا يتم اعتقالهم، وفي الليلة نفسها عادوا إلى

المكان الذي قتلوا فيه الموظف سالف الذكر لينهوا ما بدؤوا، وليتأكدوا من أنهم في مأمن لكنهم لم يتمكنوا من أخذه.

15 - وحدث أيضاً، أن سيداً نبيلاً من المسيحيين القدماء، التقى في إحدى الليالي مع هؤلاء فحاولوا قتله، لكننا سمعنا صوته، وذهبنا لإنقاذه، فوجدناه قد أصيب بجرح بالغ، كما أن أسنانه تكسرت بعد إصابتها بحجر، ولولا أننا وصلنا إليه في الوقت المناسب لمات.

لقد وصلت جرأة قطاع الطرق هؤلاء إلى حدود بعيدة، والسبب هو الحماية التي يوفرها لهم سكان البلدة، كما أن هؤلاء اللصوص يؤاذون السكان. وهكذا تصلني طيلة النهار أخبار عمليات القتل والنهب والسرقة التي تحدث في الأرياف وفي البلدة، وكذلك في الأماكن المجاورة للطرق، يبلغني بها ضباطي والمسيحيون القدماء.

إن جميع سكان البلدة يمدحون ويدعمون هؤلاء اللصوص، كما أنهم يشترون منهم المسروقات، وعندما نخرج لاعتقالهم يحذرونهم، كما أن أي شيء يقع يصل خبره إلى أولئك اللصوص. إن سكان البلدة متعلقون بهم ويعتقدون أنهم يحمون البلدة، قائلين إن الرعب الذي تسبب فيه أولئك اللصوص يعطل العدالة ويجعلها لا تسير بشكل عادي.

كما أن هناك مناطق يعسكر فيها هؤلاء الأشرار، لا يستطيع المسيحيون القدماء الاقتراب منها، لخوفهم من الاعتداءات التي قد يتعرضون لها، ولهذا يبقى الأشرار وحدهم، وبالتالي لا يكون هناك أي شهود على جرائمهم، وعندما يجري اعتقالهم كما وقع مع الكثير منهم، من

بينهم الأشخاص الذين سبق لي أن ذكرتهم وأعوانهم، تراهم ينقلبون ضد سكان المنطقة، ويعترفون بمخلفاتهم الدينية، ولهذا وجهت هؤلاء ومعهم خمسين شخصاً آخرين إلى محكمة التفتيش دون أن يعرفوا بذلك، منهم من هم نافذون وأغنياء وجريمتهم تموين ودعم وحماية قطاع الطرق الذين سلف ذكرهم، وربما يعترفون بجرائم أخرى.

لقد تسبب هؤلاء المجرمون في الكثير من الشرور، ولكنهم الآن في طريقهم إلى المحاكمة على يد محكمة التفتيش، منهم من ارتكبوا جرائم ومنهم من تحوم حوله الشكوك، وكلهم تمردوا وعصوا، كما فعل قطاع الطرق سالفو الذكر. إن لهم جواسيس ليعرفوا متى أدخل إلى منزلي ومتى أخرج، كما أنهم يتجولون بحرية في الساحات والشوارع، كما يقصدون الينابيع. وعندما تقصد شارعاً وتسأل عن أحد منهم وأين ذهب، تجدهم يتعاملون وكأنهم فلذات أكبادهم، ولا يصرحون بشيء، ثم بعد ذلك تجدهم يخبئونهم ويدعمونهم.

لقد وقع من الحوادث الشيء الكثير، فقد بذلت جهوداً كبيرة بشكل سري مع اتخاذ الاحتياطات اللازمة، وخرجت المرات تلو الأخرى للبحث عنهم من دون أن أظفر بهم، كما أنه من المستحيل أن تعثر عليهم صدفة وأنت تعبر شارعاً ما.

لقد اشتهرت هذه المقاطعة حتى صارت ذائعة الصيت بحوادث القتل والسرقة، التي يقوم بها سكان هورناتشوس، ولقد قمت أنا وحاكم إليرينة، بتنسيق جهودنا، فجمعنا من الأفراد ما بدا لنا ضرورياً، وفي ساعة

محددة، وزعناهم على مواقع معينة، وبذلنا جهداً كبيراً لنعثر على أولئك اللصوص، لكننا لم نستطع، لأن الناس لا يريدون أن يتم اعتقالهم، وفي هذه الحالة عرفنا أنهم مختبئون في أحسن الأمكنة بالنسبة إليهم، خصوصاً أن السكان يصرحون بأنهم لن يسلموهم حتى ولو قطعت رؤوسهم، ويقولون وهم ساخطون مما نقوم به، بأن بطش وجور أولئك اللصوص لا يطال إلا المسيحيين، أما هم فلا يصيبهم أي مكروه.

إن سكان هورناتشوس يدعمون ويحمون أولئك اللصوص، لأنهم يحققون وينفذون رغباتهم، لقد أصبحوا مشهورين وصارت أفعالهم معروفة وهي ضد الرب وضد جلالتكم، ومن الضروري ألا تصير معروفة من طرف الجميع كي لا تضطرب الأوضاع.

إنه لمن الواضح والجلي أن موريسكيي هذه المنطقة يتكلمون ويأكلون ويلبسون بنفس طريقة أسلافهم، ويمكن لجلالتكم أن تعرفوا أكثر عن هذه المسألة من ديوان التفتيش المقدس بإليرينة، ومن رهبان دير القديس فرانسيسكو المقيمين في هورناتشوس وفي جوارها.

إنه لمن المحزن في مثل هذه الأوقات السعيدة التي هي عهد حكمكم يا جلالة الملك، والذي عمّت فيه المسيحية وعمّ فيه العدل، أن توجد في هذا الإقليم الكاثوليكي الذي سبق له أن خدمكم يا صاحب الجلالة، طائفة مارقة لا علاقة لها بكل هذا، وهذا يضر بالمناطق المجاورة والتي تحمل الاتفاقيات والعقود الموقعة معها الكثير من اللوم لنا، وهؤلاء يستغيثون الرب من أجل الحل. أما المجرمون فهم واثقون في الأموال

الكثيرة التي بحوزتهم والتي يستندون إليها في ادعائهم بأنهم سيخفون كل شيء، لأنها حسب زعمهم كافية لإصلاح الأخطاء وإخفاء الآثام خصوصاً عندما تقدم كهدايا في المناسبات.

ولأن جلّ سكان المنطقة متورطون، فقد فضلت التريث وعدم القيام بأي إجراء ضد أحد منهم، حتى لا يعرف الباقون بأي شيء، إلى أن أعلم جلالتكم بكل ما حصل، وتقترحوا علي الحل الأمثل، وفي هذه اللحظة ومن أجل سلامتي الشخصية، فقد انتقلت للإقامة في بلدة كامبيو.

في حالة اتخاذ حل غير مناسب وعدم معاقبة هؤلاء الأشرار، فإن هذه الأرض ستصبح مصدراً للمشاكل، وأي مسؤول سيأتي إلى المنطقة، فلن يكون بمأمن من دون حراسة كافية، وحتى إذا تم تجريدهم من السلاح، فلن يكون هناك أمن، لأنهم يمتلكون الكثير من المخابئ، كما أن طبيعة تضاريس المنطقة تساعدهم على ارتكاب الشرور.

إن الشيء الذي سيستفز مشاعر جلالتكم في كونك كاثوليكياً متديناً، هو رؤية الكثير من الأرواح تهلك هنا، والتي لم ينفع الحل الذي طبق في هذه البلدة منذ مئة سنة في تحويلها إلى المسيحية، وها هم بعد كل هذه السنين مازالوا على حالهم دون أدنى أمل في أن يتغيروا.

المعلومات التي أمكننا الحصول عليها متوفرة وبعضها قد أرسلت إلى جلالتكم، وهي تخص بعض الوقائع، في حين أن الكثير من الجرائم لا تتوفر على شهود عليها، لأن الهورناشيين لا يقولون الحقيقة في القضايا التي تتعلق بهم، هناك فقط سبعة أو ثمانية مسيحيين قدماء وهم فقراء جداً

وخائفون منهم، ولا يجرؤون على الإدلاء بشهاداتهم، لأنهم يخشون من أن يقتلوا كما هي العادة هنا.

ألتمس من جلالتكم أن تأخذوا بالاعتبار ما جاء في هذه الرسالة، وأن تبقى سراً، لأن ما دفعني إلى كتابتها هو حماسي الديني وولائي لشخصكم، وأن تتفهم الخطر المحدق بي وبالشهود، كما أبعث إليكم بعدد من المراسيم والمحاضر التي تقوم مقامها في حالة لم تتوصلوا من خلالها".

ديل كامبيو يوم 10 شتنبر 1586

حاكم هورناتشوس

الدكتور خوستو دي أرغيبو.[1]

تبرز هذه الوثيقة بجلاء ما كان يرغب فيه الهورناشيون الذين حولوا بلدتهم إلى جمهورية صغيرة، لا تحترم فيها قوات الملك وموظفوه وحكامه ولا حتى الملك نفسه.

من خلال الوثيقة الآتية، والتي أرسلها مفتش إليرينة السيد رودريغو دي ميندوثا Don Rodrigo de Mendoza إلى المجلس العام لديوان التفتيش في شخص الكاردينال المفتش العام، يوضح فيها ماذا كان في مقدور الهورناشيون أن يفعلوا عندما أرادوا تسميم الملك.

"بكثير من الألم والحقد، أكتب إليكم هذه الرسالة، بينما يداي ترتجفان، لكن المسألة خطيرة ولا تحتمل الانتظار.

1- A.H.N., Ordenes Militares. Archivo Histórico de Toledo. Legajo 14626.

في هذه المحكمة التي مقرها إليرينة، نحتفظ بشخص اسمه أنطونيو لويس **Antonio Luis** من مراكش **Marruecos**، مدينة في المغرب **Barbaria**، وقد أدلى لنا بشهادته ضد عدد من رعايا هذه الممالك، أغلبهم من بلدة هورناتشوس الواقعة ضمن مقاطعتنا. من بين ما صرح به الرجل، أنه عندما كان صاحب الجلالة عائداً من مملكة البرتغال، أرسل ضباط حمايته في طلب ما يكفيهم من الماء من هورناتشوس حتى يصلوا إلى ماردة، لانعدام أي مصادر للماء في الطريق، وقد استغل الحاقدون وعدد من الأشخاص النافذين، بالإضافة إلى مغربي **Moro** قال الرجل إنه كان يسكن في المنطقة، فحاولوا تسميم الماء، وقد شرعوا في ذلك فعلاً عبر وضع كمية من السم المحضر بمواد مهلكة ومسببة للأوبئة في دنين من الماء الصافي. وليتأكدوا من نجاح العملية، بعثوا جواسيس ليستطلعوا وقت تحرك الملك من غوادالوبي **Guadalupe**، وقد أرسلوا أربعة أو خمسة رقاصين إلى هورناتشوس من دون أن يتمكنوا من جمع معلومات حول موكب جلالته وأماكن المبيت والغذاء.

وقد حكى لنا الشاهد أن جلالة الملك تأخر في الوصول إلى ماردة يوماً واحداً، بسبب مروره على ميديلين **Medellin** لاستلام عدد من الثيران، وبالتالي فقد وصل متأخراً عن اليوم الذي حدده أولئك المغاربة لتنفيذ خطتهم، كما أن الجنود لاحظوا نشاطاً مشبوهاً في ماردة، كما شاهدوا أنطونيو لويس الذي حكى لنا ما حصل.

لقد قام أولئك المغاربة بطقوس شيطانية وتعاويذ سحرية، حيث أثاروا كثيراً من الغبار لتعمية المسيحيين، وفي تلك الأثناء قدم إلينا انطونيو لويس. ونظراً لخطورة المسألة، ارتأيتُ أن أشرح ما حصل للمجلس العام لديوان التفتيش، وخاصة للكاردينال المفتش العام لديوان التفتيش.

إليرينة في 26 يوليوز سنة 1584 روديريغو ميندوثا".[1]

منذ لحظة إعلان التنصير القسري، أصبح موريسكيو هورناتشوس تحت مراقبة وسلطة قضائية لديوان التفتيش المقدس، وإذا كانت وضعيتهم القانونية السابقة كمدجنين تحميهم من المتابعة القضائية بتهم دينية، باستثناء بعض الحالات الخاصة كالقيام بالدعوة الإسلام، فإنهم صاروا ابتداء من تلك اللحظة متهمين بالهرطقة والإلحاد بشكل أبدي، لقد صارت محكمة إليرينة وديوان التفتيش المقدس عدوهما الأكبر.

لم تكن الوشايات التي يبلغها المسيحيون القدماء لتفزع موريسكيي البلدة، فعندما يصلهم خبر وشاية ويعرفون صاحبها، فإنهم كانوا يقتلونه، مما أدخل الفزع إلى قلوب المسيحيين القدماء القلائل الذين كانوا يسكنون البلدة. والوثيقة التالية تتعلق بأخوين من هورناتشوس حوكما بتهمة القتل.

"إليرينة 1543، تمّ استنطاق أخوين من بلدة هورناتشوس يدعيان باخيراس **Bajiras** بتهمة الهرطقة، لأنهما قتلا كاهن الكنيسة الذي جاء لاعتقالهما. هذان الجانيان تمكنا من الفرار إلى البرتغال؛ حيث تم اعتقالهما

1- A.H.N., Sección Inquisición de Llerena. Libro 100.

من طرف محكمة التفتيش في بلدة يابرة **Evora**. استلمت محكمة التفتيش البرتغالية تقارير من طرف محكمة إليرينة، وبناء عليها تمت محاكمة الأخوين سالفي الذكر.

جاء حكم محكمة يابرة على الشكل التالي:

- الاعتراف بالهرطقة [1].
- يخرج الجناة في موكب الإيمان وهم يرتدون أثواب العار **Sambenito** [2] وعلى رؤوسهم الكوروثا **Coroza** [3].
- يسلم الجناة ليعاقبهم الشعب بقسوة.
- يجلد الجناة مائتي جلدة.
- لا يسمح بالعفو مطلقاً على الجناة.
- يتم إحراقهم أحياء" [4].

كيف يكمن أن نحقق في واقعة قتل مسيحي تَدخّل في حياة موريسكيي هورناتشوس، وهي حادثة صارت عادية في البلدة. في الملف 2707 لمحكمة إليرينة، نجد الدلائل التي ستوضح لنا حقيقة جرائم القتل والاعتداءات التي قام بها الهورناشيون.

1- ترجمة عبارة **Abjuración de vehementi** بالاعتراف بالهرطقة بناء على ما قال في المؤلف.
2- كان على من أدينوا بتهمة الهرطقة البينة أن يلبسوا ثوب العار لمدة سنة كاملة.
3- قبعة مستدقة كان على من أدينوا بالهرطقة أن يضعوها على رؤوسهم بالإضافة طبعاً إلى ثوب العار.
4- A.H.N.. Seccion Inquisicion de llerena. legajo 1995

" من خلال التحقيقات التي قام بها الأستاذ ألونسو دي كورونادو **Alonso de Coronado** حول العدد الكبير من القتلى في صفوف العامة، تبين أن القتلة يتقاضون ثلاثين دوقية عن كل عملية، هذه الشهادة أفادنا بها السيد مانديولا **Mendiola**.

وتبين أيضاً أن الهورناشيين يتعاونون مع مسلمي أفريقيا، وأنهم يقومون بتزوير السكة منذ سنوات مضت.

ما يحدث الآن من جديد، إذا لم يعالج ولم يحقق فيه ويستخبر حوله بحماس وغيرة مسيحية – التي هي من طبع جلالتكم – وبالشجاعة اللازمة، سيحدث ما كنا شهوداً عليه.

يمكن الاعتماد أيضاً على المعلومات التي جمعها الأستاذ دييغو دي كوينكة من رهبانية القديس يعقوب كاهن بلدة هورناتشوس[1]".

بين مواطني البلدة الإشترامادورية، كانت هناك علاقات اجتماعية سرية، وهذا مما لا شك فيه، حيث كانوا يحتفظون في بيوتهم بأدوات كانت تستعمل في التعليم الديني.

كانوا يمتلكون أيضاً نقوداً مسكوكة مزورة، استعملت للمتاجرة مع مسلمين آخرين. محكمة إليرينة أصدرت في هذا الصدد مرسوماً تُلي في محاكم إشترامادورا، يحث المؤمنين على الإبلاغ عن كل من يمتلك النقود المزورة المكروهة، هذه النقود كانت كالتالي:

1- A.H.N.. Sección Inquisición de Llerena Legajo 2707